﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: 97]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدَ بيانِ كذبِ بني إسرائيل بالدَّليلِ البيِّنِ، وإقامةِ الحجَّةِ عليهم بأنَّهم أخسُّ النَّاسِ شأنًا؛ لحرصِهم على أخسِّ حياةٍ، ناسبَ ذكرُ عداوتِهم لجبريل عليه السلام؛ ليقعَ التَّهديدُ الضّمنيُّ لهم بسببِ معاداتِهم له، فكيف لأخسِّ النَّاسِ أن يُعادي أشرفَ الملائكةِ شأنًا ومكانةً؟ فهي عداوةٌ في حقيقتِها لله ربِّ العالمين، فجاءَتْ هذه الآية دليلًا آخر لِلرَّدِّ عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: 91]؛ لِأَنَّهُمْ أَظْهَرُوا بِهِ عُذْرًا عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَهُوَ عُذرٌ كاذِبٌ سَتَرُوا به السَّببَ في الوَاقِعِ، وهُو الْحَسَدُ عَلى نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلى رَجُلٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، فأبطلَ في هذه الآية عُذرَهم، وأثبتَ الصَّارفَ الحقيقيَّ عن إعراضِهم وهو الحَسَدُ؛ ولهذا عادَوْا جبريلَ عليه السلام الذي أنزل الكتاب على موسى عليه السلام، والذي نزَّل القرآن على قلب نبيّنا ﷺ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿عَدُوًّا﴾: الْعَيْن والدَّال والحرف المعتلّ تدلّ اشتقاقاتها على تَجَاوُزٍ في الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ، يُقال: عَدَا الفَرَسُ: إذا جَرَى ووثب؛ لأنه يتخطى المسافات والفجوات ويتجاوزها، ومنه التعدّي لأنّه تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه، وسُمِّيَ العدوُّ عدوًّا لمجاوزته ما حُدَّ له وهو ضدّ الصّديق، والعَدَاوة: المباعدة والخصومة ففيها معنى التّجاوز، والأصل فيها تباعُدُ القلوب والنّيّات، والعَادِي: الَّذِي يَعْدُو عَلَى النَّاسِ ظُلْمًا، وَالعُدْوَانُ: الظُّلْمُ الصُّرَاحُ، وَالِاعْتِدَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعُدْوَانِ، والعدوُّ يستوي لفظه للمذكّر والمؤنّث والواحد والجميع، والعدوّ في الآية بمعنى المُبغِض؛ لِأَنَّ الْمُبْغِضَ يَثِبُ عَلَى الْمَبْغُوضِ لِيَنْتَقِمَ مِنْهُ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/620.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والهروي، الغريبين، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عَدَوَ)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/620.

2) ﴿لِّـجِبْرِيلَ﴾: اسمُ مَلَكٍ من الملائكةِ، وهو رُوحُ القُدُسِ وأَمينُ الوحيِ بينَ اللهِ ورسلِه، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجبريل اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ مَمْنُوعُ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعُجْمَةِ، مركّب من جبْر وإيل[1].

3) ﴿مُصَدِّقًا﴾: الصِّدْقُ ضِدُّ الكَذِبِ، وصَدَّق يدلّ على كثرة الصِّدقِ، واسمُ الفاعلِ مُصَدِّق، يقال: مُصَدِّق للشّيء بمعنى محَقِّق له. ومعنى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مُوافقًا لما قبلَه من كُتُبِ الأَنبياءِ.

4) ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أَي لِمَا جاءَ قبلَه وتَقدَّمَه، والأصلُ في هذا التّركيبِ أنْ يكونَ بمعنى أمامَ، ضِدُّ خَلْفَ، فيقالُ: بينَ يديْهِ وخَلفِه، ثمّ استُعملَ مجازًا لِمَا تقدَّم وسبقَ؛ لأنّ السَّابقَ أمام.

5) ﴿بِإِذْنِ﴾: يُعبّر بالإذْن عن العِلْم، يقال: قَدْ أَذِنْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ؛ أَيْ: عَلِمْتُ، وآذَنَنِي فُلَانٌ أَعْلَمَنِي، والإذْنُ في الشّيء الإعلام بإجازته والرُّخصة فيه؛ لكنْ بيْن العلم والإذْنِ فرقٌ، فإنّ الإذْنَ أخصُّ، ولا يكادُ يستعملُ إلّا فيما فيه مشيئةٌ به، وإذا أُسنِدَ الإذْنُ إلى اللهِ فقد يراد أمرهُ وإرادتُه أو تيسيرُه، وهي معانٍ مجازيَّة[2].

6) ﴿وَهُدًى﴾: الهَاءُ وَالدَّالُ وَالحَرْفُ المُعْتَلُّ، تدلُّ في أحد أصليها على الدّلالة بلُطْفٍ، يُقال: هداه؛ إذا دلّه على الطَّريقِ الحقِّ، فالهدى نقيضُ الضَّلالِ، والقرآن هدىً؛ أي: رُشدٌ وبيانٌ؛ لأنّه يرشِدُ النَّاسَ إلى الحقّ، وإلى الحالة التي هي أقوم، وإنَّما سَمَّى اللهُ جلَّ ثناؤُه القرآنَ هدًى؛ لاهتداءِ المؤمنِ به [3].

7) ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: البَاءُ وَالشِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ تدلُّ على معنى ظُهُورِ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَالبَشَرَةُ ظَاهِرُ جِلْدِ الإنسانِ، وَسُمِّيَ البَشَرُ بَشَرًا لِظُهُورِهِمْ، وَالبَشِيرُ الحَسَنُ الْوَجْهِ، وَالبِشَارَةُ الخبر السارّ، والأصل في البِشارةِ أنْ تكونَ بالخَيْرِ وبما يَسُرُّ، وَالنِّذَارَةُ بغَيْرِهِ، وبُشرى في الاستعمال القرآني للبِشارة بالخير[4].

---

(1) الجوهري، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (جبر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (أذن)، والشهاب، عناية القاضي: 2/342.

(3) الهروي، الغريبين، والسمين، عمدة الحفاظ: (هدى)، وابن جرير، جامع البيان: 2/393.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأصبهاني المديني، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بشر).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يأمرُ اللّه ﷻ نبيَّه ﷺ أن يُخاطِبَ اليهودَ من بني إسرائيل الذين زعموا أنَّ جبريل عَدُوُّهم، بأنَّه مَن كان مِن النّاس لجبريل عدوًّا فإنّي له وليٌّ وخليل، فإنْ عاداه أحد فعداوته باطلة؛ لأنه إنّما نزَّل القرآن على قلب محمدٍ ﷺ بإذن اللّه وأمره، ولا سبيلَ إلى مخالفة أمرِ اللّه، وجاء جبريلُ بالقرآن مصدِّقًا لِما سبقه من كتب اللّه، وهاديًا إلى الحق، ومبشرًا للمصدِّقين به بكل خير في الدنيا والآخرة، فجبريل عليه السلام من حيث إنّه مأمورٌ وجب أن يكون محبوبًا، ومن حيث إنّه أتى بالهداية والبشارة يلزم أن يكون مشكورًا؛ لإنزاله ما ينفعهم، فعداوةُ مَن هذا سبيلُه هي عداوةٌ للّه ﷻ [1].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نكتةُ اختلافِ النَّظمِ:

بيانُ شُمولِ غضبِ اللهِ لكلِّ مَن عادَى رسولًا مِن رسلِه

اختلفَ نظمُ الآيةِ عن الآيةِ المثيلةِ السَّابقة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾، فلم يقل: (إن كنتم أعداء لجبريل)، وهم قد صرّحوا بمعاداتهم لجبريل [2] عليه السلام؛ ذلك أنَّ مقامَ معاداةِ جبريلَ عليه السلام يختلفُ عن مقامِ إقامةِ الدَّليلِ على كذبِ اليهودِ؛ فحسُن أن يأتيَ بالغَيبَةِ، وبصيغة العموم (مَن)، وهو شَرْطٌ عَامٌّ مُرَادٌ بِهِ خَاصٌّ وَهُمُ الْيَهُودُ، فقَصدَ الإِتْيَانَ بِالشُّمُولِ باستعمال لفظ العموم؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْبَأُ بِهِمْ وَلَا بِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُعَادِي جِبْرِيلَ إِنْ كَانَ لَهُ مُعَادٍ آخَرُ [3]، ولأَنَّ معاداة جبريل عليه السلام كفر في كلِّ الشّرائع، ولا يختصّ ذَمُّه بشريعة معيّنة، فالقضيّة من أصولِ الدِّينِ التي لا تختلفُ بينَ شرائعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ.

بلاغةُ حذفِ جوابِ الشَّرطِ:

حذفُ جوابِ الشَّرطِ وذكرُ علّته للجَمْعِ بينَ التَّخويفِ والوَعيدِ

لمّا كانتْ عداوةُ جبريلَ أمْرًا مَهولًا وعظيمًا عند اللّه حذفَ الجوابَ؛ لِيذهبَ السَّامعُ كلَّ مَذهَبٍ ممكنٍ، فلا يَتَصَوَّرُ مَطلوبًا ولا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/387، والنيسابوري، غرائب القرآن: 1/342.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 2/387.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/621.

مَكروهًا إلَّا ويُجَوِّزُ أنْ يكونَ الجزاءُ والوعيدُ أعظمَ منهُ؛ تَخويفًا له مِنْ أنْ يفعلَ هذا الفعلَ، بخلافِ ما لو ذُكر فقيل: فاللّٰه عدوٌّ لهُ، أو فَلا وجهَ لِعداوتِهِ، أو نحوُ ذلك، وإلّا لكانَ الجزاءُ مخصوصًا وفاتَ المقصودُ من هولِ شدّة التَّخويف لشدّة أَمرِ عداوَةِ جبريلَ عليه السلام عندَ اللّٰهِ، ولا يَخفى حسنُ العدولِ إلى ذكرِ عِلّةِ جوابِ الشَّرطِ، ولو لم يكنْ فيه شيءٌ سِوى أنّهُ احتَجّ على بُطلانِ عداوتِهم من وجهٍ، وذَكرَ موجباتِ محبّةِ جبريلَ وتقريرَ تنزيلِ القرآنِ وبيانَ أوصافِهِ من وجهٍ آخرَ، فجمعَ بينَ الوجهينِ بكلامٍ واحدٍ؛ لكفَى، فسببُ عداوتِهم جبريلَ هو أنَّه نزَّل عليك القرآنَ مصدِّقًا لكتابِهم وموافقًا له، فَهُم كارهون للقرآن [1].

دلالة حرفِ الفاءِ:

ترتيبُ ما بعدَ الفاء على ما قبلَها لبيان الأولويَّة التي يجب أن يكون عليها العقلاءُ

أفادت الفاءُ أنّ ما بعدها من الكلام، وهو كونُ جبريلَ نزّل القرآنَ على قلبِ رسولِ اللّٰهِ ﷺ، سببٌ لامتناعِ عداوةِ جبريلَ عليه السلام، وأَفاد الربطُ بالفاء أنَّ الأَولى بمَنْ يكون مُرسلًا من اللّٰه تعالى ويُنزِّلُ عليك القرآن أنْ يكونَ محبوبًا لا مَكروهًا.

تنزيل المنكِر منزلتَه فاقتضى الكلامُ تأكيدًا:

لـمّا كان اليهودُ منكرين للقرآن ولرسالة رسولِ اللّٰه ﷺ أتى بـ(إنّ) المؤكِّدةِ؛ لتقريرِ هذا التّنزيل، ثم تقويتِه بمجيء الخبر جملةً فعليةً [2]، فتضمّن الكلامُ تأكيدين: (إنّ) و(تقوية الحكم)؛ لكون المسندِ جملةً فعليةً، وأفاد تقريرَ أنّ جبريلَ نزّله على قلبكَ يا محمّدُ، وأنَّ جبريلَ هو الذي نزّله لا غيرُه.

توجيه المتشابِه اللَّفظيّ:

مراعاةُ اختيارِ الصِّيَغِ ملحوظٌ بِهِ مراعاةُ معنى السِّياقِ

اختلف التَّعبير في صيغة النُّزولِ بين ما جاء في هذه الآية: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، وبين قولِه في سورة الشّعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/170، والبهاء السبكي، عروس الأفراح: 1/593، والشهاب، عناية القاضي: 2/342.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 217.

﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشّعراء: 193-194]؛ ذلك أنَّ لَفْظَة (نَزَّلَ) تَدُلُّ عَلَى التَّفْرِيقِ وتقويةِ الفعلِ بسببِ التَّضعيف من حيث الكمّيةُ أو الكيفيةُ، والقرآنُ عظيمُ الشَّأن بكثرة تنزيلِه من عندِ الله العليِّ الكبير، بخلافِ لَفْظَةِ (أَنْزَلَ) فهي تَدُلُّ عَلَى الجَمْعِ[1]، فناسب كلّ لفظةٍ موضعَها؛ لأنَّ آيةَ سورةِ البقرة في مقام تثبيتِ قلبِ رسولِ الله ﷺ أمامَ أكاذيبِ اليهود وادّعاءاتِهم الباطلةِ، وكذلك في مقام ذكرِ أوصافِ القرآن، فأشار إلى تفريقه وتكثُّرِ نزولِه ليكون أكثر تثبيتًا وتقريرًا في قلب رسول الله ﷺ وللدّلالة عَلَى تعظيمِ شَأْنِ نُزُولِ القُرْآنِ، والمقامُ في سورةِ الشُّعراءِ للنّذارةِ، فقصَدَ جميعَ القرآن؛ لأنَّ النِّذارة بجميعِه أبلغُ.

نكتةُ إبهامِ الضميرِ:

عُلُوُّ شَأنِ القرآنِ وكَمالُ شُهرتِهِ يجعلان إبهامَه أوضحَ مِن تعيينه

أُبهم الضَّميرُ في قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾، والمقصودُ به القرآنُ كما هو ظاهر[2]، ولم يتقدّمْ للقرآنِ ذكرٌ في قريبِ الكلام، فيكون كقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [الواقعة: 83]؛ إذْ لمَّا كانَ القرآنُ عظيمَ الشَّأنِ فإضْمارُهُ يُغني عن ذكرِه بالاسمِ الظَّاهر، فـ"أضمرَ من غيرِ ذكرٍ إيذانًا بفخامةِ شأنِه واستغنائِه عن الذِّكرِ لكمالِ شُهرتِه، لا سيَّما عندَ ذكرِ شيءٍ من صفاتِه"[3]، والقرينةُ الدّالّة عليه هي قولُه: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾؛ فمِن صفاتِ القرآنِ الكريمِ أنَّه مُنزَّلٌ من عند الله، وكونُ النَّازلِ به هو جبريلُ عليه السلام.

براعةُ تَوالِي الضَّمائرِ:

فخامةُ التَّعبيرِ عن الرِّسالةِ والرَّسولِ والوساطةِ بالإضمارِ، وإظهارُ لفظِ الجلالةِ

وردتْ ثلاثةُ ضَمائرَ متواليةً تَكمنُ فيها مفاهيمُ الإيمانِ، وعُلِّقَ مجيئُها بإذن الله؛ فإنَّ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ متعلّقٌ بالفعل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ مع مقيِّداتِه من الفاعل والمفعول والجارِّ والمجرور ، فيكون ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾

(1) الفخر الرازي، التّفسير الكبير: 24/429، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/147.
(2) ابن جرير، جامع البيان، تح: شاكر: 2/387.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/134، والنيسابوري، غرائب القرآن: 1/1/343.

قيدًا يستغرق الإسنادَ كلّه، وعُبِّر عن لفظِ الجلالةِ بالاسمِ الظَّاهر؛ لتوريث المَهابةِ، فإنَّ إظهارَ لفظِ الجلالةِ بعد التَّعبيرِ عن الرِّسالةِ والرَّسولِ والوساطةِ بالإضمار؛ له من الرَّوعةِ والمهابةِ في نفسِ المتلقّي ما يُسندُ الأمرَ لصاحبِ الأمرِ على الحقيقة.

ترتيبُ الضَّمائر:

ترتيبُ الضّمائِر في اللّفظ مراعًى فيه ترتيبُها في الوجودِ

المقصودُ بالضَّميرِ الأوَّلِ في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ جبريلُ الواسطةُ الذي جاء بإذنِ اللهِ وبأمرِه، والمقصودُ بالثَّاني ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ القرآنُ المنزَّلُ، والمقصودُ بالثَّالث ﴿قَلْبِكَ﴾: رسولُ اللهِ مُحمّدٌ ﷺ، وخُصَّ الضَّميرُ العائدُ إلى رسولِ اللهِ بضميرِ المُخاطَبَةِ تكريمًا له وتَشريفًا، معَ ما سيأتي من لطيفِ البلاغةِ في بيانِ سببِ إضافةِ القلبِ إلى كافِ الخِطاب، والنِّكاتُ البلاغيَّةُ لا تتقاطَعُ.

دلالة التَّعبيرِ بحرف الاستعلاء:

استعلاءُ القرآن تشريفٌ لأصحابِه وتكريمٌ لهم

عبّر بـ﴿عَلَىٰ﴾ للإشارةِ إلى استعلاء القرآن على القلوب واستيعابِه لها؛ لما تتضمّنُه (على) من معنى الفَوقيَّةِ والتمكّن، كما يدلّ على أنّ الله قد شرّف رسوله وأعلى ذكرَه. وتمكّنُ القرآنِ في قلبِ المؤمنِ تشريفٌ له وتكريمٌ لقلبه، وللإشارة إلى وجوب الاعتناء به، ولو قال: (إلى قلبك)، لأفاد الانتهاءَ وبلوغَ الغاية من غير استيعابٍ وإحاطة؛ لأنّ (إلى) لا تختصُّ بجهة دونَ جهة، والإحاطةُ بالاستعلاء تُحقّق معنى انتهاءِ الغاية، ولذلك كان أكثر المواضع التي ذُكر فيها إنزالُ القرآنِ على النبيّ ﷺ عُدّي بـ(على)، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وأكثر ما ذُكر إنزالُه بمعنى تبليغِه للنَّاس جاء مُعدًّى بـ(إلى)[1]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 2].

(1) الإسكافي، درّة التنزيل، ص: 1107.

إِضَافةُ القَلبِ إِلَى كافِ الخِطَابِ لا ياء المُتكلِّم:

بلاغة الالتفاتِ للتَّنبيهِ إلى عِظَمِ شأنِ المخاطَبِ

أُضيفَ القلبُ إلى كافِ الخطابِ بدلًا من يَاءِ الْمُتَكَلِّم كما يقتضيه ظاهرُ الكلام، بأنْ يقولَ: (نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِي)؛ ليكون واردًا عَلَى طَرِيقِ الالْتِفَاتِ عَنِ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ[1]؛ للتَّنبيه إلى عِظَم شأنِ المخاطَبِ، وعِظَمِ موضع التّنزيل، وهو قلبُ رسولِ اللّهِ ﷺ، وجَعل تنزيلَه على القلبِ زيادةً في تقريرِ التّنزيل ببيانِ محلِّ الوحي[2].

مناسبةُ التَّرتيب اللفظيّ للأحوال:

مقدِّماتُ التَّأييدِ فمضمونُ الهدايةِ فالنَّتيجةُ

لمّا كانت مَدْلُولَاتُ الأحوال من الضّمير ﴿نَزَّلَهُۥ﴾، وهي ﴿مُصَدِّقًا﴾ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾، تَرَتَّبَتْ تَرْتِيبًا وُجُودِيًّا؛ ناسب ترتيبُ هذه الأحوالِ على هَذا التَّرْتِيبِ اللَّفْظِيِّ، فَالْأَوَّلُ: كَوْنُهُ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا مِنْ يَنْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْهِدَايَةَ حَصَلَتْ بِهِ بَعْدَ نُزُولِهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنَ التَّصْدِيقِ، وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ بُشْرَى لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ بِهِ الْهِدَايَةُ[3]، ولم يقيّد البُشرى بزمان معيّن، فلم يقل وبُشرى للمؤمنين في الدنيا أو في الآخرة؛ ليدلَّ الإطلاق على عُموم البُشرى زمانًا ومكانًا.

توجيه المتشابه اللّفظي:

أثرُ السِّياقِ في بيانِ العمومِ والخُصوصِ

لم يُخصِّص الحالَ في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ بل أتى به عامّا، وقد خصّصه في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: 91]؛ لاختلاف سياقِ الآيتين، فهذه الآيةُ جاءَت لتفخيم شأنِ القرآنِ وتعظيمه، وبيانِ الموقفِ ممَّن يُعادي جبريلَ عليه السلام الذي نزلَ بجميعِ الكتبِ؛ فاقتضى إطلاقَ الوصفِ، فالقرآنُ مصدّقٌ لكلِّ الكتب السَّابقة، وأمَّا قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فسياقُها في مخاطبةِ اليهودِ، وإلزامِهم الحجَّةَ؛ فاقتضى ذِكر أنَّه مصدِّقٌ لِمَا معهم من التَّوراةِ.

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 1/325.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/134.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/514.

توجيه المخصوصِ بالذِّكر:

اجـتَـمـعَ في الـوصـفـين الطَّريقُ وثمرتُه، وهـذا غـايـةُ ما يرجوه العبدُ

خُصَّ هذان الوصفانِ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ بالذِّكرِ؛ لإشعارِ اليهود وغيرِهم بأَنَّ مَنْ أراد السَّير على أقوم طريق وأوضحِه وأرشدِه، ويكونُ له فيه بُشرى فعليه بالقرآن، وإذا كنتم أيّها اليهود تخافون العذابَ فعليكم بالقرآن فهو هُدى وبُشرى للمؤمنين؛ وهذان وصفان جامعان، فالهُدى طريقُ الحقِّ الموصِلُ، والبُشرى نتيجة طريقِ الإيمانِ، فاجتمع في الوصفين الطَّريق وثمرتُه، وهذا غايةُ ما يرجوه العبدُ.

سرُّ العدولِ في الصِّيَغ:

المبالغةُ في وصفِ القرآنِ بالهداية والبُشرى

ممَّا يقتضيه الظَّاهرُ أنْ يأتيَ الحالانِ بصيغةِ اسم الفاعل (هاديًا مبشّرًا) مثلَ ﴿مُصَدِّقًا﴾؛ لكنَّه عدَلَ عن هذا إلى المصدر مبالغةً في تعظيمِ القرآن وتفخيمِ شأنِه، ليُناسِبَ تفخيمَه بمجيءِ الضَّمير من غير عودٍ على مذكورٍ في قوله: (نزّلَه)؛ فإنَّه لـمَّا حَصَلَ بِهِ عميمُ الهُدَى وَالبُشْرَى للمؤمنين جُعِلَ نَفْسَ الهُدَى وَالبُشْرَى[1].

نكتةُ تقديمِ الهدى على البشرى:

الـهُـدى هو المـقـدَّمُ لأنَّـه الطَّريقُ الموصِلُ، والـبُـشـرى نتيجتُه

لـمّا كان الهُدى يُرشِد إلى الطّريق، ولـمّا كان القرآنُ فيه بيانُ ما وقعَ التّكليفُ به من أعمالِ القلوبِ وأفعالِ الجوارحِ، ولـمّا كان المؤمنون هم المنتفعين بهَدْيِ القرآنِ وطريقِه؛ فهو من هذا الوجه هُدًى للمؤمنين، ثمَّ جاء بيانُ أنَّ الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابُه، فهو من هذا الوجه بُشرى، والهُدى مُقدَّم على البُشرى في الوجودِ فقُدِّمَ في الذكر أيضًا[2].

توجيه المخصوص بالذِّكر:

لَـحْـظُ وجـهِ الانـتـفـاعِ بالقرآنِ، وحثُّ غيرِ الـمُهتدين إلى الانتفاعِ به

أفادت لامُ الجرِّ تخصيصَ الهدايةِ والبُشرى بالمؤمنين؛ لكونِهم هم المنتفعينَ به، وإلّا فالقرآنُ في نفسِه هادٍ لكلِّ النَّاسِ كما قال

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/514.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 1/343.

تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ فهدايةُ القرآنِ وبِشارتُه عامَّةٌ في جميعِ النَّاسِ، لكنْ لـمَّا كان المؤمنون هم المنتفعين به ذُكروا، ولم يُذكر غيرُهم من قبيلِ الحثِّ والتَّحريضِ؛ فإنَّ من شأنِ القلوبِ التي تطلب المعالي أن تبحثَ عمَّا يجعلُها في مصافِّ المصطفَين.

فائدةُ تَعدادِ أوصافِ القرآن:

كـثرةُ أوصـافِ الـقـرآنِ تقتضي عظمتَه ومكانتَه

أثنتِ الآيةُ على القرآنِ الكريمِ بذكرِ أوصافِه البالغةِ، فوصَفه بأنّه مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِإِذن اللّه، وَبِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ المخصوص بالتّشريف والتّكريم، وَأَنَّهُ مُصَدِّقٌ لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ، وَأَنَّهُ هَادٍ أَبْلَغَ هُدًى، وَأَنَّهُ بُشْرَى[1]، كما تضمّن الكلامُ وصفَ القرآن بعِظَمِ الشَّأنِ، كما سيأتي منْ دلالة صيغةِ التَّضعيفِ في ﴿نَزَّلَهُ﴾.

توجيه المخصوصِ بالذِّكر:

الإيـمـانُ حكمٌ قـرآنيٌّ يُنتَسَبُ إلـيـه بـشـرطِ القرآنِ لا بادِّعاءِ الكاذبين

خصَّتِ الآيةُ الهدايةَ والبشرى بالمؤمنين، ومَن لم يكن مهتديًا لم يكن مؤمنًا، وبه تُنزعُ صفةُ الإيمانِ عن كلِّ مَن لا يُؤمنُ باللّه ورسولِه والقرآنِ؛ فاليهودُ وكلُّ من على شاكلتِهم ممَّن يزعم الإيمانَ ليسوا بمؤمنين؛ فلمّا لم ينتفعوا بالقرآن ولم يُسَرّوا به دلّ على بُطلان إيمانِهم وكذبهم في دعواهم، فخُصّ الهُدى والبُشرى بالمؤمنين، وتعليقُ الحُكمِ على الوصف يدلّ على عِلِّيَّة المأخَذ، فالمؤمنُ هو الذي ينتفع بالقرآن ويهتدي به فيكونُ مبشّرًا له بالمَسرّات، فاختِير كلمةُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للردّ على ما ادّعَوه من انتسابِهم للإيمانِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/623.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»